

حواكير الناصرة

تحولات في مؤسسة ثقافية في البيئة الحضرية للناصرة

نسرين مزاي

كانون أول 2014

ملخص

تتناول هذه الدراسة البيئة الحضرية في مدينة الناصرة وتتركز على الحقائق المنزلية التقليدية المعروفة بالحواكير، كمؤسسة بيئية ثقافية وتبحث في التغييرات التي مرت عليها في العقود الأخيرة. الأسئلة الرئيسية التي وجهت الدراسة هي: ما هي الحاكورة؟ بماذا تختلف الحاكورة عن الحدائق الأخرى؟ ماذا حل بالحواكير في الناصرة؟ وماذا يمكن التعلم عن الناصرة اليوم من خلالها؟ كبحث أنثروبولوجي بيئي يهدف هذا البحث إلى توسيع النقاش حول البيئة والتوجهات البيئية في المجتمع العربي- الفلسطيني في إسرائيل وحول عملية صياغتها وتمثيلها. وتثير الدراسة أسئلة حول الإستدامة الحضرية في مدينة صغيرة وحول أشكال تحققها في الحيز الحضري في مدينة الناصرة.

مجالات المعرفة ذات الصلة لهذه الدراسة هي الأنثروبولوجيا الإيكولوجية والبيئية، الإيكولوجيا والبيئة في المجتمع الفلسطيني، الإستدامة في الحيز الحضري والعلاقة بين الإنسان الطبيعة والثقافة والظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تنظمها. وتعتمد هذه الدراسة من الناحية النظرية على توجهات الإيكولوجية السياسية والاقتصاد السياسي في الأنثروبولوجيا وتمعن النظر في وقائع ثقافية من خلال الربط بين الأبعاد الإيكولوجية والرمزية وبين منظومات القوة الاقتصاد والتاريخ.

جرت الدراسة في الناصرة، المدينة العربية الوحيدة المتبقية في إسرائيل بعد العام 1948. واعتمدت الدراسة على عمل ميداني أنثروبولوجي وتضمنت: مشاهدات مشاركة، محادثات تلقائية مع السكان، مقابلات مفتوحة، مراجعة كتب ومذكرات منشورة لشخصيات نصراوية ومتابعة لوسائل الاعلام المحلية.

توضح هذه الدراسة أشكال تواجد الحواكير في الناصرة، وتتبع آثار العوامل التي أثرت عليها، كما وتتمعن في المعاني وفي الدور الذي تلعبه الحواكير في حياة السكان. تشير نتائج الدراسة إلى أربعة نماذج للحواكير في الناصرة. الأول وهو النموذج الكلاسيكي والذي تعتبر الحاكورة وفقا له كجزء أساسي من المنزل، زودت العائلة بالغذاء وعملت كمصدر للدخل عند الحاجة. لم يعد هذا النموذج موجودا في أيامنا الحالية وذلك لعدة أسباب أهمها كثافة البناء، ارتفاع الطلب على الأراضي، ارتفاع أسعار المياه، وزيادة التنافس على الحيز الحضري لاستعمالات أخرى. النموذج الثاني وهو نموذج الحاكورة القيمة على التقاليد. يتواجد هذا النموذج بشكل مؤقت على مساحة صغيرة نسبيا من الارض وهي مساحة كرسست مسبقا لبناء منازل للأبناء. النموذج الثالث والأكثر شيوعا في المدينة اليوم هو نموذج الحاكورة كهواية ويقتصر هذا النموذج على رجال ينعمون بوفرة اقتصادية. أما النموذج الرابع والأخير فهو نموذج الحاكورة كممارسة بيئية وينطوي هذا النموذج على عدد من التحديات والعديد من العقبات الإيكولوجية والاجتماعية والاقتصادية.

تقوم هذه الدراسة بالكشف عن تغييرات بيئية حدثت في مدينة الناصرة من خلال توثيق إثنوغرافيا في الحواكير والتحويلات التي طرأت عليها في العقود الأخيرة، وقد برزت هذه التغييرات من خلال مجالين مركزيين. المجال الأول وهو نمط السكن وتقسيم الحيز الحضري: مقارنة مع الأحياء القديمة في الناصرة التي تميزت بتجانس طائفي وعائلي من جانب وتنوع اقتصادي طبقي من جانب آخر. أما الأحياء الجديدة نسبيا فتتميز بتنوع طائفي وعائلي إلى جانب تجانس اقتصادي وطبقي. المجال الثاني وهو المجال الاقتصادي حيث تحول اقتصاد المدينة من اقتصاد يتمتع بعناصر مهمة من اقتصاد الكفاف إلى اقتصاد يعتمد بشكل حصري على الاستهلاك.

سيرة الحاكورة في مدينة الناصرة تعكس هذا التغيير الذي جرى على نطاق واسع في المدينة. النقص في الأرض الى جانب تغيير نمط الحياة وارتفاع أسعار المياه حولت الحواكير من مكان مثمر منتج ومستديم إلى منتج إستهلاكي منغمس في اقتصاد السوق الرأسمالي لا يقدر على تحمل كلفته إلا بعض الرجال المقتدرين اقتصاديا.

وبالنهاية ومن خلال هذه الدراسة انا أعتقد أن زوال الحواكير من النظام الاجتماعي والاقتصادي للمدينة أثر بشكل مباشر على البيئة الحضرية للمدينة وعلى الطبيعة فيها مما أسهم في توسيع الفجوة الاجتماعية والاقتصادية، وفي تغيير العلاقات الاجتماعية وعلاقات النوع الاجتماعي. بالإضافة الى ذلك فقد قلص زوال الحواكير إمكانيات الإستدامة للمدينة من حد من الأمن الغذائي فيها ومن حصانتها الاجتماعية الاقتصادية السياسية ومن قدرتها على الكفاف لفترة من الزمن.